الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنهج العملي الإسلامي

دكتور

صالح بن عبد العزيز التويجري

جامعة القصيم (بريدة) ١٤٢٨هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كثيرون هم أولئك الذين يدركون عقيدة السلف النظرية، ويحسنون الرد على الفرق المخالفة لهم-حتى المنقرضة منها-، وهذا بحد ذاته مكسب علمي ورصيد وافر في التراث الإسلامي؛ ولكن مع هذا كله نرى بوناً شاسعاً بين القدرة على تقرير عقيدة السلف و القدرة على اللحاق بهم في أعمالهم وسلوكياتهم.لا شك أن تصنيف المصنفات ومعالجة العلم بين الأوراق والكتب مهمة مطلوبة ومفيدة للعالم ومن ينتفع بعلمه من بعده، لكن العالم الفقيه إذا لم يتحرك بفقهه بين الناس ويستنزله إلى واقعهم ليعالج به مشكلاتهم، ويداوي به أمراضهم، سوف يتعرض للركود والموت، ومن ثم فلا قيمة لفقه لا يتفاعل مع واقع الناس. **ما أسهل أن تعلم وتدرك..وما أصعب أن تعمل وتطبق.**

بين العلم والعمل نشأت هوة سحيقة، ولابد من تظافر الجهود وتحفيز الهمم وتفعيل العمل لردمها؛ لئلا نصبح نشازاً عند الله وعند الناس.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [الصف:٢- ٣].

وفي الحديث عن أبي برزة الأسلمي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: " لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن شبابه فيم أبلاه "(١)

١- أخرجه الترمذي في صفة القيامة: ٢٤١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: " إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوَني على رؤوس الخلائق فيقولَ لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربي، فيقول: ما عملت فيما علمت؟"[1]وقال رضي الله عنه: "لن تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملاً "[2]

وعن معاذ –رضي الله عنه– قال:" عملوا ما شئتم بعد ان تعلمـوا فلـن يأجركم الله بالعلم حتى تعملو "[3]

قال الخطيب البغدادي:" وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته..."[4]

وقال – رحمه الله–:" العلم شجرةٌ والعملَ ثمرةٌ، وليس يُعدُّ عالمًا من لـم يكن عاملاً... فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم كان العلمُ كلّاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كَلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً... فلولا العمـلُ لـم يُطلبْ علمٌ ".

وقال ابن الجوزي:" موصيًا نفسه: "احذري الإخلاد إلى صورة العلم مـع ترك العمل به فإنها حالة الكسالى" [5].

١- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ١٧٨٣ وإسناده جيد:

٢- رواه الدارمي: ٢٩٣.

٣- رواه الدارمي: ٢٦٠ وفيه ضعف.

٤- اقتضاء العلم العمل.

٥- اقتضاء العلم العمل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الإفراط في التركيز على الجانب النظري يفرز للأمة مخرجات أكاديمية لا تستطيع تغيير الواقع ولا المساهمة في إصلاحه، إذ أن التغيير والإصلاح لابد فيه من معايشة الواقع والمراس على العمل والتحلي بأخلاقيات المعايشة، ولا يكفي فيه الجانب التنظيري، وكم نظّر المنظرون من بروج عاجية، ولما حُمّلوا المسؤولية أخفقوا. إما لعدم اهتمامهم سلفاً بالجانب العملي، أو لاصطدامهم بالواقع الذي لم يعايشوه، وهذه سمة بارزة لكل من أفرط في التركيز على الجانب النظري وأهمل الجانب العملي. فلابد إذن من العمل ومن الأقوال المأثورة: "الحركة تنفي الغفلة" إن مثل هؤلاء ينبغي أن يطرق آذناهم نداء الأستاذ عبد الوهاب عزام حين يقول:

يا حبيسًا بالدُّورِ خِذنَ كتَابِ — قارئًا من مَقَال كُلِّ علِيم

ابرُزن للحياة واقرأ سُطورًا — ماثلات لعَينِ كُلِّ حكيم

ولقد أفرز إهمال الجانب العملي مخرجات ومظاهر نشاز من أبرزها:

١. عدم التفريق بين الإثم والخطأ عند بعض الناس، وربما كانا متلازمين عند بعضهم، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، بل هو مذهب ضلال المعتزلة ومن وافقهم.

قال شيخ الإسلام: "وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين"(١).
وقال في موضع آخر: "أما الذين يقولون بأن المجتهد المخطئ آثم فهم أتباع بشر المريسي وكثير من المعتزلة البغداديين والقدرية ؛ لأن الخطأ والإثم عندهم متلازمة"(٢).

١- مجموع الفتاوى [ج٣٥ ص٦٩].

٢- مجموع الفتاوى [ج١٩ ص٢٠٤] وانظر الإحكام للآمدي [ج٤ ص٢٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. تتبع الأخطاء والعثرات للبراء والفرح بها مع نسيان الفضائل والحسنات. وهذا مخالف للهدي القرآني في إنصاف الناس (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً....) [آل عمران: ٧٥] (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: ١٠٢].ومخالف للهدي النبوي المنصف حتى للحيوان (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل)[١].

٣. نقل المعلومات عن المجاهيل أو من التجمعات العامة، فإذا سئل عن مصدر خبره قال: حدثني من لا أتهم، أو أخبرني الثقة، أو حدثني من لو كان البخاري حياً لجعله من شيوخه، إلى غير ذلك من المبالغات والمجازفات، وخلاصة القضية أن في نفسه قناعات مبنية على أوهام وأحقاد، أراد إثباتها بهذه النقولات الهشة والأخبار الملفقة. [٢]

ولقد تميز سلفنا الصالح بجوانب عملية أخلاقية جعلت القافلة تسير دون اضطراب – رغم الاختلاف العلمي بينهم وتفاوت مستوى الاجتهاد– ومن أبرز هذه الجوانب:

١. حسن الظن والتثبت في مواجهة الأخطاء والنقولات.

٢. حسن الخلق.

٣. الرفق بالمخالف وعفة اللسان معه.

---

١ – رواه البخاري: ٢٥٨١.

٢– انظر فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف ص: ١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤. الشمولية.علم وعمل ودعوة وجهاد وتعليم وإغاثة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ويحسن التعريج على الهدي العملي عند السلف في الجوانب المذكورة سلفاً، وذلك لنمتثل المنهج السلف عقيدة وسلوكاً.

❖ **هدي السلف في التعامل مع الأخطاء:**

الخطأ طبيعة بشرية فطر الله الناس عليها وقد قرر النبي ﷺ ذلك بقوله: " **كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** "(١).

ولو نجا من الخطأ أحد لنجا منه الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين هم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**"(٢).

وهذا أمر متقرر عند السلف رحمهم الله وقضية مسلمة يظهر ذلك من خلال تعاملهم مع الأخطاء والعثرات.

١- أخرجه الترمذي [كتاب صفة القيامة، رقم ٢٤٩٩] وقال: حديث غريب، وابن ماجة [كتاب الزهد، رقم ٤٢١٥] والدارمي [كتاب الرقاق، رقم ٢٧٢٧] وأحمد [ج٣، ص١٩٨] وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة [ج٢، ص٤١٨].

٢- أخرجه مسلم [كتاب التوبة، رقم ٢٧٤٩] والترمذي [صفة الجنة، رقم ٢٥٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا الإمام الشافعي يقول: "قد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ، إن الله تعالى يقول: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا}[النساء: ٨٢].

وقال تلميذه المزني: "لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتابٌ صحيح غير كتابه"(١).

وقال الإمام أحمد: "ما رأيت أحداً أقل خطأ من يحيى بن سعيد، ولقد أخطأ في أحاديث ثم قال: "ومن يعرى من الخطأ والتصحيف"(٢).

وقال الإمام الترمذي: "وإنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقان، والتثبت عند السماع مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفوراً لهم، بل ليس من شرطهم ترك الصغائر. مطلقاً، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه توبة"(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: "وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عدت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته"(٥).

١- مسند أبي يعلى، [ج١، ص٤٦٥].

٢- الآداب الشرعية، ج[٢، ص١٤١]، وسير أعلام النبلاء، [ج٩، ص١٨١].

٣- كتاب العلل الصغير في آخر كتاب الترمذي، [ج٥، ص٧٤٧ – ٧٤٨].

٤- مجموع الفتاوى، [ج١١، ص٦٦-٦٧].

٥- مدارج السالكين، [ج٢، ص٥٢٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال مهنا لأحمد: "كان غندر يغلط؟ قال: أليس هو من الناس؟!"(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: "من يبرئ نفسه من الخطأ فهو مجنون"(٢).

وقال الإمام مالك: "ومن ذا الذي لا يخطئ"(٣).

فإذا علمنا هذا فكيف كان السلف يتعاملون مع الأخطاء:

❖ **التثبت والتبين:**

جاء الأمر بالتثبت في آيات كثيرة منها:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ}[الحجرات:٦].

وفي قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي وخلف **{فتثبتوا}**(٤)، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "المراد من التبيُّن التعرف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر"(٥)، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}[النساء: ٩٤].

١- الآداب الشرعية، [ج٢، ص١٤١].

٢- المصدر السابق، [ج٢، ص١٤٢].

٣- المصدر السابق، [ج٢، ص١٤٢].

٤- الموضح في وجوه القراءات، [ج٣، ص١١٩٥]، النشر، [ج٢، ص٢٥١]، المهذب في القراءات العشر، [ج٢، ص٢٤٧].

٥- فتح القدير، [ج٥، ص٦٠].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنها قوله تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[الإسراء:٣٦].

بل شنع الله سبحانه وتعالى على المتسرعين في نقل الأخبار والأقوال دون تثبت وتبين، ودون تروٍّ ومشورة فقال تعالى: {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[النساء: ٨٣].

وقد ذم النبي ﷺ طائفة المتسرعين في النقل دون تثبت بقوله: "**بئس مطية الرجل زعموا**"(١).

وقال ﷺ: "**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**"(٢)، قال ابن حبان عند ذكر الخبر السابق: "في هذا الخبر الزجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم على اليقين صحته ثم يحدث به دون ما لا يصح"(٣).

وقال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن وقَّاف حتى يتبين"(٤).

بل يرى الحافظ ابن حجر رحمه الله أن هذا الأمر من لوازم العقلاء، ويحذر من التساهل في ذلك تحذيراً من العواقب الوخيمة التي تلحق بالقائل والمقول فيه

١- رواه أبو داود [كتاب الأدب باب في قول الرجل زعموا، رقم ٤٩٧٢] وأحمد [ج٤، ص١١٩] والبغوي [ج١٢، ص٣٦١] وأورده الألباني في الصحيحة برقم ٨٦٦.

٢- رواه مسلم [المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج١، ص١٠، رقم٥] وأبو داود [كتاب الأدب، رقم ٤٩٩٣] من حديث أبي هريرة.

٣- المجروحين، [ج١، ص٦].

٤- فتاوى شيخ الإسلام، [ج١٠، ص٣٨٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيقول: "إن الذي يتصدى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال يلزمه التحري في النقل، فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالقول الشائع ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً في حق المستور فينبغي ألا يبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة لئلا يكون قد صدر منه فلتة، ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع"(١).

ويعد الحافظ ابن حبان عدم التثبت من صفات الحمقى الذين يجب الابتعاد عنهم إذ يقول: "من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدها ممن خفي عليه أمره: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار"(٢).

نماذج عملية في التثبت والتبين:

- ما حدث لحاطب رضي الله عنه عندما كتب لكفار قريش عن مسير النبي ﷺ، لما جيء به إلى النبي ﷺ لم يتعجل بالحكم عليه بل بادره بقوله: "**ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟...**"(٣) الحديث.

١- إنصاف أهل السنة [ص٧٥] وأحال على ذيل التبر المسبوك للسخاوي، [ص٤].

٢- روضة العقلاء، [ص١١٩].

٣- رواه البخاري [ج١١، ص٤٦، رقم ٦٢٥٩] ومسلم [ج٤، ص١٩٤١، رقم ٢٤٩٤] وأبو داود [ج٣، ص٤٧، رقم ٢٦٥٠] وسيأتي تخريجه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- روى النسائي رحمه الله عن عَبَّاد بن شُرَحْبيلَ رضي الله عنه قال: قدمت مع عمومتي المدينة، فدخلت حائطاً من حيطانها، ففركت من سُنْبُلِه، فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائي وضربني، فأتيت رسول الله ﷺ أستَعْدِي عليه، فأرسل إلى الرجل فجاءوا به فقال: "**ما حملك على هذا؟**" فقال: يا رسول الله إنه دخل حائطي فأخذ من سبنله ففَرَكَهُ، فقال رسول الله ﷺ: "**ما عَلَّمْتَهُ إذ كان جاهلاً ولا أطعمته إذ كان جائعاً، اردُدْ عليه كساءَهُ**" وأمر لي رسول الله ﷺ بوَسْق أو نصف وسق(١).

- ما حدثت لعمر -رضي الله عنه- في قصة رواها بنفسه فقال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيهَا رسول الله ﷺ فكدت أساورُهُ في الصلاة، فَتَصَبَّرتُ حتى سلم فَلَبَّبْتُهُ بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قَرَأتَ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: أني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقْرِئنيها، فقال رسول الله ﷺ: "**أرسِلهُ، اقرأ يا هشام**" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: "**كذلك أنزلت**"، ثم قال: "**اقرأ يا عمر**"، فقرأت القراءة التي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: "**كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزلَ على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**"(٢).

١- سنن النسائي [كتاب أدب القضاة باب الاستعداء، ج٨، ص٢٤٠، رقم ٥٤٠٩] وفي صحيح سنن النسائي [برقم ٤٩٩٩].

٢- صحيح البخاري [ج٢، ص٨٥١، رقم ٢٢٨٨] ومسلم [ج١، ص٥٦٠، رقم ٨١٨].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❖ حسن الظن:

لقد كان حسن الظن عند السلف امتثالاً لكتاب ربهم وسنة نبيهم فالنصوص متوافرة في تقريره والحث عليه

قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ}[الحجرات:١٢].

وقال تعالى: {لَّوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ}[النور:١٢].

قال رسول الله ﷺ: "**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**"(١).

وقال: "**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته،ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف راحلته**"(٢).

وقد حث الصحابة والتابعون الأمة على اتباع هذا المنهج. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"(٣).

١- رواه البخاري [كتاب الآداب رقم ٦٠٦٤] ومسلم [كتاب البر والصلة رقم ٢٥٦٣].

٢- رواه أبو داود [رقم ٤٨٨٠] والترمذي [رقم٢٠٣٢] وأحمد [ج٤ ص٤٢٠] والبيهقي في سننه [ج١ ص٢٤٧] وفي دلائل النبوة [ج٦ ص٢٥٦] وهو صحيح.

٣- أورده السيوطي في الدر المنثور [ج٦ ص٩٩] وعزاه لأحمد في الزهد ولم أجده فيه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعن سعيد بن المسيب قال: "كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ "أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتيك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً..."(١).

وقال أبو قلابة الجرمي: "إذا بلغك عن أخيك شيئاً تكرهه فالتمس له عذراً جهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل لأخي عذراً لا أعلمه"(٢).

وبسلوك هذا المنهج وصلوا رحمهم الله إلى سلامة الصدر – التي عزَّ وجودها – والتي كانت منقبة عندهم يمدحون من اتصف بها، ويحمدون الله تعالى على بلوغها.

فهذا زيد بن أسلم يحدثنا عن أبي دجانة رضي الله عنه أنه دخل عليه مرة وهو مريض وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً"(٣).

وقال إياس بن معاوية: "كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة"(٤).

وقال الفضيل بن عياض: "لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما أدرك بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصح للأمة"(٥).

١- أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه [ص١٨٩ رقم١٥٧] وأورده السيوطي في الدر المنثور [ج٦ ص٩٩] وعزاه للبيهقي في الشعب.

٢- حلية الأولياء [ج٢ ص٢٨٥].

٣- أخرجه ابن سعد في الطبقات [ج٣ ص٥٥٧] وأورده الذهبي في السير [ج٦ ص٢٤٣].

٤- أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق [ص٣٨٨ رقم٧٣].

٥- غربة الإسلام لابن رجب [ص٨٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهل يظن منصف بعد تلك النقول المشرفة أن الدعوة إلى إحسان الظن منهج مخترع لم يسبق إليه؟!!

نماذج عملية في حسن الظن:

هذا أبو إسحاق الشيرازي نزع عمامته ذات مرة وكانت بعشرين ديناراً، وتوضأ في دجلة، فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ فلبسها وما شعر حتى سألوه وهو يدرس فقال: لعل الذي أخذها محتاج(١).

أن الربيع بن سليمان أحد تلاميذ الإمام الشافعي دخل على الشافعي ذات يوم يعوده من مرض ألم به فقال له: "قوَّى الله ضعفك، فقال الشافعي: لو قوَّى ضعفي لقتلني، فقال الربيع: والله ما أردت إلا الخير،فقال الشافعي: أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير..."(٢).

وقرأ عثمان بن أبي شيبة: جعل السفينة في رحل أخيه فقيل له: إنما هو السقاية فقال: أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم. علق الإمام الذهبي على ذلك بقوله: فكأنه كان صاحب دعابة، ولعله تاب وأناب(٣).

وهكذا ينبغي أن يكون النظر لأهل الفضل والخير، وهذا من فقه المقاصد والنيات الذي يجهله كثير من الناس عندما يحكمون على الآخرين بالنظر إلى الخطأ مجرداً عن حال الشخص ونيته ومقصده، فربما تكون زلة لسان ولا يقصد المعنى

١- سير أعلام النبلاء [ج١٨ ص٤٥٩].

٢- آداب الشافعي للرازي [ص٢٧٤].

٣- ميزان الاعتدال [ج٣ ص٣٨].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخبيث، كما بين ذلك ابن القيم رحمه الله حيث يقول: "والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه وما يدعو إليه ويناظر عنه"(١).

ولهذا لم يحكم بالكفر على الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" ؛ لأنه لم يقصد تأليه نفسه.

ومن تلك الأمثلة الرائعة أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما حكى مقالة الجنيد "التوحيد إفراد القدم من الحدث" قال شيخ الإسلام: "قلت: هذا الكلام فيه إجمال، والمحق يحمله محملاً حسناً، وغير المحق يدخل في أشياء..."، وأما الجنيد فمقصوده التوحيد الذي يشير إليه المشايخ، وهو التوحيد في القصد والإرادة، وما يدخل في ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة، وهو أن يفرد الحق سبحانه – وهو القديم – بهذا كله فلا يشركه في ذلك محدث"(٢).

فانظر – رحمك الله – إلى هذا العدل والإنصاف الذي سار عليه هؤلاء الأعلام، وكيف حملوا العبارات المحتملة على المحامل الحسنة، مع إمكانهم أن يحملوها على المحمل الآخر، لكن سلامة الصدر وسخاء النفس والنصح للأمة تأبى عليهم ذلك، فليت من يتصيدون الأخطاء، ويفرحون بالعثرات ويعاملون العلماء الدعاة بسوء الظن يفقهون هذا المنهج.

١- مدارج السالكين [ج٣ ص٥٢١].

٢- الاستقامة [ج١ ص٩٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❖ إذا ثبت الخطأ:

لقد كان من هدي السلف في التعامل مع المخطئ بعد ثبوت الخطأ:

١. النصح والتوجيه: وهو حق للمسلم على أخيه؛ وذلك لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١).

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"(٢).

و قال بلال بن سعد رحمه الله: صديق إذا لقيك أخبرك بعيب فيك خير من صديق إذا لقيك وضع في يدك درهمين"(٣).

بل كانوا يسألون غيرهم النصح والتوجيه كما قال بلال ابن سعد لأحد إخوانه: "أي أخي بلغنا أن المؤمن مرآة أخيه فهل تستريب من أمري شيئاً"(٤).

٢. **الهدوء في التعامل مع المخطئ وإظهار الرحمة به:**

وذلك أن المقصود من النصح هو إخراج المخطئ من دائرة الخطأ إلى دائرة الصواب والخير، وفي السنة ما يبن ذلك.

١- رواه مسلم [كتاب الإيمان رقم ٥٥] والنسائي [كتاب البيعة رقم ٤١٩٧ ٤١٩٨] وأبو داود [كتاب الأدب رقم ٤٩٤٤].

٢- رواه البخاري [كتاب الإيمان رقم ٥٧] ومسلم [كتاب الإيمان رقم ٥٦] والترمذي [كتاب البر والصلة رقم ١٩٢٥].

٣- البداية والنهاية [ج٩ ص٣٤٨].

٤- تاريخ داريا [ص٧٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ مَهْ مَهْ! قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تُزْرِمُوهُ دعوه**" فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: "**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**"، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من الماء فشَنَّهُ عليه(١).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال "مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: "**هل تجد رقبة تعتقها**"، قال: لا، قال: "**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين**"، قال: لا، فقال: "**فهل تجد إطعام ستين مسكيناً**"، قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعَرَقٍ فيها تمر – والعَرَقُ المِكْتَلُ– قال: "**أين السائل؟**" فقال: أنا، قال: "**خذها فتصدق به**"، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لابَتَيها – يريد الحرتين – أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: "**أطعمه أهلك**"(٢).

٣. **إرشاد المخطئ وإعانته على تصحيح خطئه:**

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وكان مع رسول الله ﷺ قال: فدخل النبي ﷺ فرأى رجلاً جالساً وسط المسجد مُشبِّكاً بين أصابعه يُحَدِّثُ نفسه، فَأومأ إليه النبي ﷺ، فلم يفطن، قال: فالتفت إلى أبي سعيد

١- صحيح مسلم [ج١ ص٢٣٦ رقم٢٨٥] وأخرجه البخاري [ج١ ص٨٩ رقم٢١٦] مختصراً.

٢- رواه البخاري [ج٢ ص٦٨٤ رقم ١٨٣٤] ومسلم [ج٢ ص٧٨٣ رقم ١١١٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقال: "إذا صلى أحدكم فلا يشبكن بين أصابعه فإن التشبيك من الشيطان، فإن أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه"(١).

ومن الأمثلة أيضاً قصة المسيء صلاته حيث أرشده النبي ﷺ إلى الصفة الشرعية للصلاة، وذلك بعد أن طلب منه أن يعيد الصلاة مراراً وفي كل مرة يقول له: "ارجع فصل فإنك لم تصلِّ"(٢).

٤. **تقديم البدائل الصحيحة للخطأ:**

لما حرمت الشريعة بعض الأمور الجاهلية أوجدت البدائل، فشرعت النكاح بدل السفاح. وأباحت البيع بدل الربا...إلخ.

ومن الأمثلة على إيجاد البدائل ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في الصلاة فقلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان (وفي رواية النسائي السلام على جبريل، السلام على ميكائيل) فقال النبي ﷺ: **"لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته،السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو"**(٣).

١- رواه أحمد في المسند [ج٣ ص٥٤] وقال الهيثمي في المجمع [ج٢ ص٢٥]: إسناده حسن.

٢- رواه البخاري [ج٥ ص٣٣٠٧ رقم ٥٨٩٧] ومسلم [ج١ ص٢٩٨ رقم ٣٩٧].

٣- سنن النسائي [كتاب التطبيق باب كيف التشهد الأول] وهو في صحيح سنن النسائي [ج٢ ص٢٤٠ رقم١١١٩].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومثال آخر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر بَرْنِيٍّ فقال له النبي ﷺ: **"من أين هذا؟"** قال بلال: كان عندنا تمر رَدِيٌّ، فبعتُ منه صاعين بصاع لِنُطْعِمَ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك **"أوَّه أوَّه! عينُ الربا لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتَرِه"**(١).

الرفق والتسامح مع المخالفين في المسائل العلمية والعملية:

يقول الإمام الذهبي رحمه الله: "ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فهي من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن"(٢).

ونراه رحمه الله يسير وفق هذا المنهج في الجانب العلمي التطبيقي عندما يترجم للأئمة الأعلام، فمن ذلك قوله في ترجمة أبي بكر القفال قال: "قال أبو الحسن الصفار: سمعت أبا سهل الصعلوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال فقال: قدسه من وجه، ودنَّسه من وجه: أي دنسه من جهة نصره للاعتزال،قلت – أي الذهبي–: قد مر موته،والكمال عزيز وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق ولا قوة إلا بالله"(٣).

١- صحيح البخاري [الفتح ج٢ ص٢٣ رقم٢٣١٢].

٢- السير، [ج٢٠ ص٤٦].

٣- سير أعلام النبلاء [ج١٦ ص٢٨٥].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال -أيضاً- في ترجمة قتادة -رحمه الله-: "لعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يُريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده،ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم لا ونقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"(١).

ويبين رحمه الله خطأ الإخلال بهذا المنهج والعواقب المترتبة على ذلك فيقول في ترجمة محمد بن نصر المروذي: "ولو أنَّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له،قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما. والله هو هادي الخلق وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"(٢).

وقال في ترجمة الإمام ابن خزيمة- رحمه الله -:"ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده – مع صحة إيمانه، وتوخّيه لاتباع الحق – أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه وكرمه(٣).

١- المصدر السابق [ج٥ ص٢٧١].

٢- سير أعلام النبلاء [ج١٤ ص٤٠].

٣- المصدر السابق [ج١٤ ص٣٧٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال ابن القيم رحمه الله: "... فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات وتعطلت معالمها"(١).

وعلَّق على بعض ألفاظ الهروي في منازل السائرين فقال: "في هذا اللفظ قلق وسوء تعبير، يجبره حسن حال صاحبه وصدقه، وتعظيمه لله ورسوله، ولكن أبى الله أن يكون الكمال إلا له"(٢).

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة شيخ الإسلام: "وبالجملة فقد كان رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطؤه مغفور له"(٣).

وقال شيخ الإسلام: "ليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الصغائر مطلقاً، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر والكفر الذي تعقبه توبة"(٤).

وقال ابن الأصفهاني: "ليس يجب أن نحكم بفساد كتاب لخطأ ما وقع فيه من صاحبه كصنيع العامة إذا وجدوا من أخطأ في مسألة حكموا على صنعته بالفساد"(٥).

١- مدارج السالكين [ج٢ ص٣٩].

٢- المصدر السابق [ج٣ ص١٥٠].

٣- البداية والنهاية [ج٧ ص١٤٥].

٤- مجموع الفتاوى [ج١١ ص٦٦].

٥- فيض القدير [ج١ ص٢١].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❖ الرفق والتسامح مع المخطئين في مسائل الاعتقاد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يُكفَّر بل ولا يفسق – إذا اجتهد فأخطأ – وهذا مشهور عند الناس في المسائل العلمية، وأما مسائل العقائد: فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع في ذلك كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم"(١).

وقال أيضاً: "والمتأول المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة"(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي: "والقول قد يكون مخالفاً للنص وقائله معذور. فإن المخالفة بتأويل لم يسلم منها أحد من أهل العلم،وذلك التأويل وإن كان فاسداً فصاحبه مغفور له لحصوله على اجتهاده، فإن المجتهد إذا اجتهد وأصاب له أجران: أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته الحق، وإذا اجتهد فأخطأ: فله أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له، فمخالفة النص إن كانت عن قصد فهي كفر، وإن كانت عن اجتهاد فهي من الخطأ المغفور.."(٣).

❖ من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في الأشاعرة:

والذي أحبه في نهاية المطاف هو نقل شيئاً من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وأحواله الدالة على إنصافه مع الأشاعرة، وهي بطبيعة الحال دالة على أدبه مع المخالف:

١- منهاج السنة [ج٥ ص٢٣٩].

٢- منهاج السنة [ج٤ ص٤٥٢].

٣- الاتباع [ص٢٩].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضع الأول: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " و أما الأشـــعرية فـــلا يـــرون السيف موافقة لأهل الحديث، و هم بالجملة أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة و الحديث ".(١)

الموضع الثاني: قال شيخ الإسلام: ".. فإنهم أقرب أهل الكلام إلى الـــسنة و الجماعة و الحديث، و هم يعدون من أهل السنة و الجماعة عند النظر إلـــى مثـــل المعتزلة و الرافضة و غيرهم، بل هم أهل السنة و الجماعة في البلاد التي يكـــون أهل البدع فيها هم المعتزلة و الرافضة و نحوهم ".(٢)

الموضع الثالث: قال كذلك رحمه الله: " ثم أنه ما من هؤلاء إلا من له فـــي الإسلام مساع مشكورة، و حسنات مبرورة، و له في الرد على كثيـــر مـــن أهـــل الإلحاد و البدع، و الانتصار لكثير من أهل السنة و الدين ما لا يخفى علـــى مـــن عرف أحوالهم، و تكلم فيهم بعلم و صدق و عدل و إنصاف... "(٣) .

الموضع الرابع: و كان رحمه الله يعظم بعض العلماء الأشاعرة في عصره ومـــن ذلك:

١- مجموع الفتاوى [ج ٦ ص٥٥].

٢- نقض التأسيس [ج٢ ص٨٧].

٣- درء التعارض [ج٢ ص١٠٢]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - قال السبكي الصغير (الابن): " و كان - ابن تيمية - لا يعظم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له أي لوالده تقي الدين السبكي " (١)

٢ - ذكر في ترجمة علاء الدين الباجي - وكان أشعرياً، أنه لما رآه ابن تيمية عظمه، و لم يجر بين يديه بلفظة، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول: تكلم نبحث معك، و ابن تيمية يقول: لا يتكلم بين يديك، أنا وظيفتي الاستفادة منك "(٢)

الموضع الخامس: ويبين كذلك بإنصاف مقدار ما انتفع الناس من الأشاعرة فيقول رحمه الله: " والأشعرية ما ردوه من بدع المعتزلة و الرافضة و الجهمية و غيرهم، و بينوا ما بينوه من تناقض، و عظموا الحديث و السنة و مذهب الجماعة، فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار و ردهم ما انتفع به خلق كثير "(٣)

وعلى منهج ابن تيمية سار المعاصرون من أعلام أهل السنة:

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: "وأما موقفنا من العلماء المؤولين، فنقول: من عرف منهم بحسن النية وكان له قدم صدق في الدين واتباع السنة فهو معذور بتأويله السائغ، فالقول الخطأ إذا كان صادراً عن اجتهاد وحسن قصد لا يذم قائله، بل يكون له أجر على اجتهاده"(٤). المكتب العلمي (د / صالح بن عبد العزيز النويجري).

١- طبقات الشافعية[ج١٠ص١٩٤].

٢- السابق[ج١٠ ص٣٤٢].

٣- مجموع الفتاوى[ج١٣ ص٩٩].

٤- المجموع الثمين [ج٣ ص٢٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner